الجامعة المستنصرية المرحلة الأولى / الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : علوم القرآن

قسم اللغة العربية الدكتور: إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الثامنة ( علم أسباب النزول )

 علم أسباب النزول ،هو أحد علوم القرآن التي تعنى بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن والقضايا والحوادث المتعلقة بها ، وكذلك وقت نزول الآية ومكانها وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها فهمًا صحيحًا، ومعرفة الحكمة من الأحكام القرآنية، والأسباب جمع سبب والسبب كل ما يتوصل به إلى غيره قال صاحب القاموس المحيط: " والسبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره ويجمع على أسباب وأسباب السماء مراقيها أو نواحيها أو أبوابها وقطع الله به السبب الحياة ”.وقال صاحب لسان العرب: " السبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير إلى كل ما يتوصل به إلى شيء كقوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾(البقرة: 166 ( أي الوصل والمودات "(. وقد استعير السبب إلى الحادثة التي من أجلها نزلت آية أو آيات من القرآن، لأنه يتوصل به إلى تفسير الآية والوقوف على قصتها وإزالة الإشكال عنها. فأسباب النزول هي: أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها. فهو علم يتكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القرآني يقول الواحدي : (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها ، وبيان النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.) ويقول السبحاني في دور علم اسباب النزول:(.. فإنّه يُلقي ضوءاً على الآية ويوضح إبهامها، فلا غنًـى للمفسّر من الرجوع إلى أسباب النزول قبل تفسير الآية..)

وقد برع في هذه العلم جمع من الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام فقد روي عن الإمام علي قوله : " والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا " وقال في حديث آخر وهو على المنبر :" سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل " وإذا رجعنا الى المصادر التي تكفلت تدوين أسباب النزول لوجدناها تدرج هذا العلم ضمن التفسير ،لأنه يعين المفسر على فهم النص القرآني .

والقرائن التاريخية تشير الى أن أول من أفرد أسباب النزول في باب مستقل هو الطبري في تفسيره ، لكنه لم يستعمل مصطلح أسباب النزول أو سبب النزول ، كذلك لا نجد هذا المصطلح في العصر الاول من الإسلام ، نعم كانت تَرِد عبارات من قبيل (على من نزلت ) و(في من نزلت ) لكنك تجد هذا المصطلح في كلام الإمام الصادق (عليه السلام) حيث ورد عنه في سبب نزول سورة الفتح قولَه : كان سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم ان الله (عز وجل) أمر رسوله في النوم أن يدخل المسجد الحرام ...)، ويبدو أن مصطلح أسباب النزول قد استقر نهائياً في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وذكر علماء المسلمين عدة فوائد لهذا العلم، منها: أنها تُعين قارئ القرآن على فهمه فهمًا صحيحًا سليمًا، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب.. وأنها تُيسِّرُ حفظ القرآن وتُثَبِّتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها. وأنها تمكِّن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم الوارد في آية معينة في القرآن.

 وعلى هذا الأساس كانت آيات القرآن الكريم تنقسم على قسمين: أحدهما: الآيات التي نزلت لأجل الهداية والتربية والتنوير دون وقوع سبب معين - في عصر الوحي - أثار نزولها، كالآيات التي تصور قيام الساعة ومشاهد القيامة وأحوال النعيم والعذاب وغيرها، فإن الله تعالى أنزل هذه الآيات لهداية الناس من غير أن تكون إجابة عن سؤال، أو حلا لمشكلة طارئة، أو تعليقا على حادثة معاصرة. والاخر: الآيات التي نزلت بسبب مثير وقع في عصر الوحي واقتضى نزول القرآن فيه، كمشكلة تعرض لها النبي والدعوة وتطلبت حلا أو سؤالا استدعى الجواب عنه، أو واقعة كان لا بد من التعليق عليها، وتسمى هذه الأسباب التي استدعت نزول القرآن بأسباب النزول ، فقسم من الآيات نزل مرتبط بسبب من الأسباب، ومن هذه الأسباب:

* حدوث واقعة معينة فينزل القرآن بشأنها، مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحه: « لما نزلت  وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد النبي  على الصفا، فجعل ينادي: **يا بني فهر، يا بني عدي**، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: "**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**". فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت ) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ  مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ( (المسد2،1).
* أن يُسأل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن شيء ، فينزل القرآن ببيان الحكم ، مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : « كنت مع النبي في حرث بالمدينة ، وهو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يسمعكم ما تكرهون ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه ، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ، ثم قال:   ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ( لأسراء85).

ولما كان سبب النزول أمرًا واقعًا نزلت بشأنه الآية ، كان من البَدَيهي ألا يدخل العلم بهذه الأسباب في دائرة الرأي والاجتهاد ، لهذا قيل «لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب». وقد اتفق علماء الدين الإسلامي على إثبات أسباب النزول بالنقل الصحيح عن شاهد أو مستمع للحدث من الصحابة والتابعين وصحة سند الرواية.

 وأكد علماء المسلمين قاعدة متعلقة بأسباب النزول، مفادها أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وتعني هذه القاعدة أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصرًا على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكمًا عامًا في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، فإذا نزلت الآية بسبب خاص، وكان اللفظ فيها عاما فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لان سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص، وقد جرت عادة القرآن أن ينزل بعض احكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع واحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكما وتعليما من الله، لكي يجئ البيان القرآني أبلغ تأثيرا وأشد أهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عاما شامل وذلك أن أحكام القرآن هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكامًا خاصة بأفراد معينين.